الوضع الراهن للمخطوطات في جمهورية السودان الديمقراطية

اعـداد
دائرة الوثائق المركزية

حماية المخطوطات في البلاد العربية

عاصر المخطوط العربي وحركة اكتشافه ونشره من بعد ولمدى طويل القلاقل التي جابهها العالم العربي قبل افول نجم الدولة العربيةالواحدة، وتأثر كذلك بالتقلبات الاجتماعية والسياسية التي شملت اقطار المنطقة ، حسب ظروف كل منباعلى حدة . فكما هو معروف تعرضت بعض مراكز الثقافة والمكتبات العربية الى التخريب والحرق ، ومن جانب اخر عرفت المخطوطات طريقها الى جامعات اوربا ومتاحفها وغدا المخطوط العربي وصاحبه تائهين عن بعضهما البعض لفترة ظلت مصادر الثقافة العربية الاسلامية فيها تحت رحمة حركة الاستشراق بما لها او عليها .

ولعل القلاقل التي مرت بالعالم العربي والاخطار التي حاقت بتراثه وبالاخص في عواصمه الحضارية هي التي تجعل الى الان اصحاب المكتبات وحافظي الكتب يضنون بمقتنياتهم من المخطوطات ويبالغون في عمليات حفظها لدرجة اتلفت اغلبها من حيث اريد له الحفظ .

ومع ذلك فان المخطوطات التي حافظت على حياتها وبقائها ما تزال تكتشف . والملاحظ ان ذلك حدث ويحدث في المدن التي كانت في يوم من الايام مقرا لعواصم الحكومات العربية ، مثل : المدينة المنورة وبغداد ودمشق والقاهرة وقرطبةواستانبول وغيرها ، كما حافظت بعض المخطوطات على بقائها في مراكز العلم الشهيرة كالازهر الشريف وجامعة القيروان وفي عدد من المكتبات الكبيرة ، وقد هزت المخطوطات التي اكتشفت في اليمن اخيرا وقامت بعثة من الجامعة العربية لتصويرها الاعتقاد بقلة نصيب اطراف الدول العربية من ذلك .

ومهما يكن الامر فليس من الصعب طالما رصدت المخطوطات القابعة هنا وهناك ، وطالما تضافرت الجهود ، التحكم في ادارة حركة نشر نشطة وفعالة .

ان المسالة الاساسية بالطبع هي حصر الموجود ورصد ما يكتشف واعداد البيلوجرافيات حيث يتمكن معهد المخطوطات العربية من وضع معجم موحد . وتجدر الاشارة هنا الى ضرورة سد النقص الذي تعانيه مكتبات اقطار عربية يتطلع ابناؤها الى امهات كتب التراث . ان توفير صور من اصول المخطوطات وسد هذا النقص من شأنه ان يسهم ويدعم حركة النشر المبتغاة ، ويجعلها تتم على نطاق العالم العربي كله ويهيء لعملية نشر المخطوط مناخا اقرب الى المناخ الذي ابدع فيه فيغدو المخطوط العربي حرا لا تحده حدود ومنتشرا في طول الساحة العربية ، وتخلق الروح التي تنظر الى مجموعات المخطوطات — مهما تباعدت اماكن حفظ اصولها — على اعتبار انها ملكية عربية عامة ليست ملكا خاصا لجهة من الجهات . ان مزيدا من الجهد ينتظرنا في هذا المجال .

مجمل الامر في رايي : حصر المخطوطات، وتصويرها ووضع المعجم الموحد وتوفير مناخ ادارة حركة النشر بالعمل قدر الامكان على توفير صور لاصول المخطوطات للمكتبات الفقيرة .

لا اعني بالطبع فصل مراحل انجاز هذا العمل ؛ ولا اقدم مرحلة على اخرى بل اكاد اقول ان خيطا واحدا يحميها . ومعهد المخطوطات في رايي مؤهل لادارة هذا العمل ومزود بالامكانيات التي تحقق انجازه .

المخطوطات السودانيـة

بالنسبة للسودان وقد انفرد بظروفه واهمها ضعف صلاته بالعالم الاسلامي العربي وتلقيه الثقافة العربية والاسلام بثقلهما الحضاري وكتوامين . فقد

كان الاهتمام في البداية قاصرا على القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب الفقه والشريعة والتصوف الاسلامي ، كما يجد الباحث بعض المخطوطات المتفرقة في اعمال الطب والسحر - عدا - ذلك اشتهرت بعض المخطوطات التاريخية على قلتها ، منها طبقات ود ضيف الله ومخطوطة كاتب الشونة .

ولو تتبعنا المخطوط العربي السوداني في ظل الممالك الاسلامية التي اعقبت القضاء على مملكة النوبة المسيحية لو تتبعناه في رعاية السلاطين وبالاخص سلاطين دولة الفونج الاسلامية (١٥٠٥-١٨٢٠) الذين شجعوا انتشارالاسلام واللغة العربية واغروا العلماء والمتصوفة بالاقامة في سنارالعاصمة، لوجدنا علماء سنار في بداية الامر عاكفين على العلوم الثقيلة دون اجتهاد يذكر اللهم الا ما قاموا به من اختصارات والحاق بعض الحواشي ، ثم تأتي مرحلة اكثر وعيا وثقافة هي مرحلة كتابة الشروح والمختصرات مثل شرح مختصر خليل ، وفي هذه المرحلة التي أسهم في نضوجها العلماء الذين وفدوا من الحجاز ومصر والمغرب اكتملت شخصية المخطوط .

وفي عهد المهدية (١٨٨١-١٨٩٨) تمركزت الحركة الثقافية في ثلاثة مراكز اهمها العاصمة ام درمان التي تصدر منها المحررات الرسمية وكتابات المهدي .

ولعب حصول الانصار على المطبعة الحجرية دورا كبيرا اذ لم يقتصر نشاطها على المحررات والمنشورات بل تعدى ذلك الى طبع عدد من المؤلفات منها طرف من كتاب « فتوح الشام » للواقدي ورسائل الحسين ابراهيم زهرا والحسن سعد العبادي ونصيحة احمد العوام وكلها في تأييد حركة المهدي . وبالاضافة الى ما سبق وضع الطاهر محمد التاتاي كتاب مجالس المهدي .

وفي شرق السودان المركز الثقافي الثاني - تمركز المجاذيب وكان كبيرهم الشيخ الطاهر مهتما بالجانب الديني من المهدية وتبادل الرسائل مع المهدي . وحفظت مصنفات الرسائل المحررة .

واعد محمد المجذوب بن الشيخ الطاهر مخطوط وقائع الشرق ، وصنف ايضا مجموعة « الفيوضات الوهبية » وهو مصنف ضخم محفوظ بمتحف باريس .

اما المركز الثقافي الثالث دنقلا فقد اجتمع فيها عدد من العلماء المهتمين بتراث المهدية .

ان محصول هذا العهد لم يكن كثيرا في عالم المؤلفات ، وقد كان القليل الذي كتبوه يدور حول حركة المهدية وكان اهم ما كتبوه كتاب « الايات البيانات » للحسين ابراهيم زهرا وكتاب « الانوار السنية » للحسين العبادي و « سعادة المستهدي » و « الطراز المنقوش » لاسماعيل عبدالقادر .

ويذهب الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم في كتاب الحركة الفكرية في المهدية الى ان هناك مؤلفات اخرى بلا شك لم تصل الينا او احتفظ بها اصحابها سرا خوفا وتقية .

ان اكبر مجموعة من المخطوطات في السودان محفوظة بمكتبة جامعة الخرطوم وقد كانت هذه المجموعة ملكا خاصا للمرحوم الدكتور التجاني الماحي وتبلغ نحوا من ثلاثة آلاف مخطوط . اهديت حسب وصية صاحبها الى جامعة الخرطوم ، وتتمثل في : مصاحف ، وكتبحديث ، وسيرة ، وفقه ، وشريعة وطب وفلك ، بالاضافة الى عدد من المخطوطات الفارسية . ولم تعد لهذه المجموعة ببليوجرافيا مفصلة وانما صنفت بطريقة اولية حسب المواضيع .

وفي دار الوثائق المركزية عدد من المصاحف وكتب التفسير ، كما يحتفظ فيها بنسخ من مخطوطة كاتب الشونة وطبقات ود ضيف الله ومجموعات المهدية ومنشورات المهدية والرسائل التي كتبت في صحة وعدم صحة دعوة المهدية كما توجد بها مجموعة المهدية المصورة من (درم) ، وعدد من اشجار النسب الخطية التي اعتمدت كثيرا مصادر تاريخية عدا هذين المركزين يحتفظ عدد من الافراد بمجموعات شخصية لا تخرج عن الكتب الدينية .

نذكر في هذا المجال مجموعة المخطوطات التي تحتفظ بها اسرة الشيخ عبدالمحمود نور الدايم . ومجموعة مخطوطات السادة الاسماعيلية بالابيض بالاضافة الى مخطوطات المجاذيب في بربر بشمال السودان ومخطوطات محمد المجذوب قمر الدين في شرق السودان ، ولقد صورت الدار اغلبها .

في التصوف اذكر مجموعة الشيخ عبدالمحمود نور الدايم ويبحث معظمها في التصوف العقيدة وقد طبع وصور اكثرها واهدى الاخر لدار الوثائق المركزية من اسرة المؤلف ، كما ان لحفيد الشيخ ، الشيخ عبدالمحمود الجيلي مجموعة خطية تناهز العشرين مخطوطا لم يطبع منها سوى كتاب واحد هو (كتاب الوصية) .

وفي مكتبة الدكتور الريح العيدروس الفلكي

السوداني المهداة من ورثته للدار مجموعة خطية في علوم الفلك والتقاويم وغيرها .

كما تحوى مكتبة الشيخ محمد عبدالرحيم المؤرخ السوداني التي حولت لدار الوثائق المركزية مخطوطات في التاريخ والادب منها (موسوعة الشخصيات السودانية البارزة) .

ومن المخطوطات العربية السودانية : مخطوطات السادة اليعقوباب في الجزيرة في عمارة الشيخ هجو شمال غرب سنار وطبيعتها صوفية دينية .

- مخطوطات دونتاي بجنوب شرق سنجة .
- مخطوطات طيبة الشيخ عبدالباقي شمال مدني وفي ابو حراز .
- مخطوطات السادة المكاشفية .

ومن بين محفوظات دار الوثائق : مخطوطات الشيخ محمد طيب الاسماء وهي تشمل مؤلفاته وما نقله عن استاذه الشيخ عبدالمحمود نور الدايم ومنقولاته الخاصة من عمليات وروحيات وديوان مولد نبوي ومجموعة صلوات نبوية من مختاراته في ثلاثة مصنفات .

وهناك مخطوطات الاستاذ مصطفى طيب الاسماء في الثقافة الشعبية والتهذيب الاجتماعي تتمثل في :

مقالات في الدين والمجتمع

مقالات في الادب والمجتمع وفي الوعي الاجتماعي وفي الحياة والسلوك .

ان دار الوثائق المركزية التي يحوى ارشيفها اوراق المهدية واوراق الحكم الثنائي المتمثلة في ملايين الوثائق المفردة ، مزودة بوسائل الحفظ الحديثة كما ان لديها امكانيات التصوير بالمايكروفيلم وفي مجال حماية المخطوطات لديها قسم خاص للصيانة يقوم بمهمام الترميم والتجليد .

وتهتم دار الوثائق بالاسر التي يحتفظ افرادها بالمخطوطات وتعقد الصلات معهم وتقوم بتصوير مقتنياتهم لتحفظ بعد ذلك الاصول او الصور حسب ما يقضي الاتفاق .

تحقيق المخطوطات

مخطوطة كاتب الشونة :

جمعها وكتبها احمد بن الحاج ابو علي كاتب الشونة ، عن تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية حتى عام ١٢٥٤هـ .

تحقيق : الشاطر بوصيلي عبدالجليل .

طبع : احياء التراث بالقاهرة ١٩٦١ .

وحقق احدى نسخها والتي قام بتنقيحها الزبير ود ضوه والامين الضرير وابراهيم عبدالدافع وجميعهم قد عاصر عهد التركية ومنهم من حضر المهدية ـ حققها الدكتور مكي شبيكة .

طبع بمطبعة ماركور كوديل ١٩٤٧ .

كتاب الطبقات في خصوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان : محمد ود ضيف الله

تحقيق وتقديم الدكتور يوسف فضل ـ طبع دار التاليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم ١٩٧٠. طبعة ثانية ١٩٧٥ .

وقد سبق نشر هذا الكتاب في القاهرة ١٩٣٣ في طبعتين مشهورتين بطبعتي سليمان منديل ، وابراهيم صديق ، تميزت احداها ببعض الشروح بينما الطبعة الاخرى صورة طبق الاصل .

منشورات المهدية :

تحقيق الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم بيروت ١٩٦٩ .

سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي :

تحقيق الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم طبع الدار السودانية بالاشتراك مع دار الفكر بيروت ١٩٧٢ .

الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش

تحقيق الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم والاستاذ محمد سعيد القدال طبع شعبة ابحاث السودان ، جامعة الخرطوم ١٩٧٢ .

والكتابان الاخيران من وضع اسماعيل عبدالقادر الكردفاني ، اعد اولهما بتكليف من خليفة المهدي عبدالله بن محمد الذي ولاه منصب القضاء ثم نقم عليه ونفاه . يتناول اولهما انتصارات انصار المهدي في الداخل وموضوع الثاني سرد لتاريخ العلاقات السودانية في فترة المهدية الى تاريخ وضعه وكان الفراغ من تأليفه سنة ١٣٠٦هـ-١٨٨٩ .